أثر الحي السكني في جنوح الأحداث

بقادة زينب حميدة أستاذة محاضرة – أ – قسم علم الإجتماع والديموغرافيا
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
– جامعة سعد دحلب ،البليدة–

الملخص:

لقد عالج الكثير من علماء الجريمة موضوع الحي و أبرزوا علاقته بتكوين السلوك الجانح. و تقوم غالبية الدراسات التي تناولت أثر الحي السكني في جنوح الأحداث على فرضية أساسية مفادها أن الجنوح أو السلوك المنحرف هما حصيلة تفاعل طويل يجري بين الأفراد و بين معظم المؤثرات الخارجية و الفرص و الظروف التي يهيئها الحي للأحداث ، و التي تتيح لهم أسباب الوقوع في الانحراف و الجنوح .

من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة التعرف على الطابع الذي يأخذه الحي السكني و كيف يكون عاملا مؤثرا يسهم في انحراف و جنوح الأحداث .

Abstract:

We have addressed many of the schofars of crime and highlighted the issue of neighborhood Relationship in the formation of delinquent behavior. And the majority of studies on the impact of residential neighborhood in juvenile delinquency on the fundamental assumption that the delinquency or deviant behavior are the outcome of the interaction of long-being among individuals and between the most external influences, opportunities and conditions offered by the neighborhood of the events, which allows them the reasons for falling into the deviation and delinquency.

From this point this study attempts to identify the character who takes the neighborhood and how to be a factor contributing to the delinquency and juvenile delinquency.

مقدمة

إذا كان لدراسة دور العائلة والمدرسة في سببية الجنوح نصيب الأسد في غالبية دراسات علم الإجرام المعاصر، إذ أنهما العامل المشترك الذي يقف عنده كل باحث في دراسة طبيعة السلوك الإجرامي، فإنّ هذه العائلة والمدرسة لا يمكن أن تنعزلا عن المؤسسات الأخرى القريبة إليها في إنجاز عملية شخصية الفرد وبلورة اتجاهاته الأساسية في الحياة.

حقا أن الأفراد يستجيبون لمؤثرات عوائلهم ومدارسهم، ويخضعون لظروفهما إلى حد كبير، لكن هذين المؤسستين تعملان من خلال بعض المحددات الجغرافية والايكولوجية الاجتماعية، فهما جزء من بيئة ثقافية أكبر تعرف بالحي.

لقد أثبتت الكثير من الدراسات التي تناولت العلاقة بين الحي و جنوح الأحداث أن العائلة والمدرسة تخضعان خضوعاً مباشرا لظروف الحي الذي تكونان جزء منه، فهو يشكل البيئة الخارجية التي توصلهما بالمجتمع الكبير.

إنّ الحي لا يكون مؤسسة اجتماعية مستقلة ومنعزلة عن بقية المؤسسات الأخرى، بل يعتبر الجزء الحساس الذي يتأثر بما يحيط به، كما أنه المرآة الصادقة التي تعكس قيم وعادات الأفراد الذين يعيشون فيه.

و من هنا نستطيع القول أن شخصية الفرد تتكون من خلال دورين هامين، الأول هو دور الفرد في الحي الذي يعيش فيه، والثاني هو مكانة الحي بين بقية الأحياء الأخرى، والدور الذي يلعبه في المجتمع الكبير الذي يحتويه.

من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة أن تبين كيف يكون الحي عاملا يسهم في تكوين السلوك الجانح لدى الأحداث .

أولا- مفهوم الحي:

إنّ الدلالة اللغوية للحي هي الحياة، وهو اسم يقع على كل شيء حي، وهو نقيض الميت. أما الدلالة الاصطلاحية فتشير إلى أن الحي هو الإطار الإداري الذي يقع به المسكن بكل ما يتضمنه من مقومات مادية وروحية، وثقافية فنجد أن الحي يضم المباني السكنية، ومباني المؤسسة، والمصالح والهيئات الواقعة في إطاره الجغرافي ، كما يضم المصانع والورش والمتاجر، والطرقات ووسائل المواصلات والحدائق والمستشفيات المدارس ودور العبادة ودور السينما والمسرح، وغير ذلك من أماكن الترويج التجاري من ملاهي، ومقاهي وغيرها، وإلى جانب هذه المقومات المادية يتضمن الحي مؤثرات معنوية تتمثل في الجو المحيط بالفرد في حدود اتصالاته وعلاقاته اليومية المعتادة بالمنطقة التي يقع بها مسكنه.

يعرف المهندس المعماري الايطالي المعاصر "ألدو روسي" Aldo Rossi " الحي بكونه وحدة مورفولوجية وبنائية متميزة بطابع حضري ومحتوى اجتماعي ووظيفة محددة.

إنّ الحي الذي يعني المنطقة الصغيرة التي يعيش فيها الفرد بحكم موقع داره، ومدى اتصال هذه الدار بالدور الأخرى قد لا يكون له في المفهوم الغربي نفس السمات المميزة للأحياء في المجتمعات العربية، حيث نشير للحي "بالحومة" المعروفة في الجزائر، و "الحارة" المعروفة في مصر، و "المحلة" المعروفة في العراق إلى أخره من المصطلحات التي تقارب هذا المعني في الدول العربية الأخرى.

لقد صنف الباحثون المتخصصون في مجال علم الاجتماع الحضري الأحياء السكنية حسب التجهيزات المتواجدة فيها، والفئات الاجتماعية المهنية الساكنة بها على النحو التالي:

- الأحياء الراقية: المتواجدة في المناطق المفضلة والهادئة، تتواجد فيها السكنات الفردية من نوع (فيلا) أو العمارات من النوع الرفيع، تتميز ببعدها عن المراكز الصناعية والتجارية، تتمتع بحياة الترف، ومظاهر التحضر المختلفة، تتوفر فيها النظافة والحدائق والمساحات الخضراء.
- الأحياء الشعبية: المتواجدة في المناطق المزدحمة بالمباني والمساكن، تنعدم فيها وسائل الراحة والنظافة، تكثر فيها المحلات التجارية، وازدحام المواصلات، والعمارات السكنية الجماعية ذات الإيجار المتواضع، وتقل فيها المرافق الرياضية والثقافية والمتنفسات الطبيعية كالحدائق والمنتزهات والمساحات الخضراء.
- الأحياء العشوائية: وهي في غالبية الأحيان سكناتها ليست مبنية من مواد البناء المناسبة ولكنها قد تكون مقرا للإقامة، تتكون من أكواخ أو عدد من العشش التي يستخدم في إنشائها الصفيح، لا تتوافر فيها أي مرافق أو خدمات، وهي في معظمها مناطق يقيم فيها المهاجرون الفقراء الذين يهاجرون من الريف إلى المدن الكبيرة، ويستولون على أي منطقة خالية في وسط المدينة أو على أطرافها، ويقيمون عليها أكواخهم.
- وفي مجال تصنيف الأحياء استطاعت دراسة فرنسية حديثة قامت ببحث ميداني حول التقسيم الاجتماعي للمجال في المدن الفرنسية الكبرى أن تجد خمسة وعشرون صنف من الأحياء رتبتها حسب الفئات الاجتماعية المهنية الساكنة بها، مستعملة متغيرات لتحديد نمط الحي نذكر منها على سبيل المثال: الجنسية، الإطار القانوني لامتلاك السكن (ملك، مؤجر)، نوعية السكن (فردي أم جماعي، قديم أم جديد) إلى جانب الإطار الاجتماعي والثقافي المهني لمختلف السكان الذين يقطنون هذه الأصناف من الأحياء.

واستنتجت هذه الدراسة أنّ دراسات من هذا النوع تساهم في معرفة مورفولوجية المدن من ناحية تركيباتها السوسيو ديمغرافية، كما تفيد أيضا في خلق وسيلة المتغير" نمط الحي" الذي يسمح بتهيئة المجال.

من كل ما سبق ذكره يمكننا استخلاص أن كل حي من هذه الأحياء يطبع المقيمين به بطابع ثقافي مميز يظهر في العديد من التصرفات والمعايير السلوكية، فقد تتفاقم مشكلات اجتماعية معينة في بعض هذه الأحياء لظروف تتعلق بها، وفي نفس الوقت لا تجد مثل هذه المشكلات في أحياء أخرى، ممّا يجعل بين المشكلات الاجتماعية والمكانية نوع من الارتباط.

والحي في أبسط مفهومه هو منطقة جغرافية تحدد إقامة الأسرة، وتشكل علاقاتها واختلاطها وتواصلها بالأفراد أو الجماعات التي تشكل بعض جوانب الصورة الايكولوجية التي تتميز بها هذه المنطقة. والحي بهذا المعني نجده يهيئ للأسرة معظم المؤثرات الخارجية والفرص والظروف التي تتيح لأفراد الأسرة أسباب المخالطة والولاء والانتماء، أي أن الحي يسهم في تزويد الفرد ببعض القيم والمواقف والاتّجاهات والعادات والمعايير السلوكية التي يتضمنها الإطار الحضاري العام الذي يميز المنطقة الاجتماعية.

إنّ الحي الذي تتوافق قيمه مع قيم المجتمع الكبير يكون حيًا سويّاً يهيئ للطفل جوا يكسبه الشعور باحترام النظام والقانون، وحين يخرج الحي في قيمه الاجتماعية على قيم ومعايير المجتمع الكبير، فإنّ هذا الحي يصبح مصدرا لتكوين بعض الاتجاهات الخاطئة، فهو يفشل في مهمة توجيه قيم أفراده، وبذلك قد يضع الطفل في بعض المواقف والظروف التي تقوده إلى الجنوح والجريمة.

انطلاقا من ذلك يهمنا في هذه الدراسة أن نبين كيف يكون الحي مصدرا من مصادر تكوين السلوك الجانح من خلال تعرضنا للطابع الذي يأخذه الحي كعامل مؤثر في الجنوح.

ثانيا- الطابع الذي يأخذه الحي كعامل مؤثر في جنوح الأحداث:

كثيرا ما يتساءل الباحثون عن مدى العلاقة بين الحي و الجنوح والانحراف، وذلك لما يلاحظ من ارتفاع في "معدل الانحراف" بين مستوى الانحراف في المدن والعواصم الكبرى عنه في المدن الأصغر والأرياف، فهل للحي الذي ينشأ فيه الحدث علاقة بانحرافه وجنوحه ؟

يكاد يتفق الكثير من العلماء الذين عالجوا موضوع إيكولوجية الجنوح والجريمة على الدور الكبير الذي يلعبه الحي الفاسد في تنشئة الفرد عن طريق تزويده ببعض القيم والاتجاهات والعادات والمعايير السلوكية التي تساعد على تكوين الجنوح، أو تقود إلى ارتكاب الجريمة.

وقد حاول بعض العلماء تشخيص عناصر الحي الفاسد وتحديد معالمه، التي لها علاقة مباشرة، أو غير مباشرة، بتكوين الجنوح والسلوك الإجرامي، ومن هذه المحاولات ذكر أحد العلماء سبعة أنواع لهذا الحي الفاسد وهي.

1 . الحي الفقير المزدحم بسكانه، والذي يشيع فيه الفقر، وتشيع فيه الرذائل الاجتماعية، وهنا لا يكون الفقر وحده العامل الجوهري في حالة هذه الأحياء، وإنما المهم هو سلوك الأفراد فيه، ونوعيتهم، وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينهم، وبعض العناصر الثقافية الأخرى.

2 . الحي الفقير جدا والذي يطغى الفقر فيه على كل صفة أخرى، بحيث تصبح السرقة البسيطة عملا من أعمال العيش.

3 . الحي المغلق الذي تفصله عن بقية أجزاء المجتمع الكبير عوائق طبيعية أو فوراق اجتماعية واضحة. وغالبا ما تقع مثل هذه الأحياء بين منطقتين سكنيتين على مستوى معين من التنظيم الاجتماعي ، فهي أحياء لا تعتبر جزءا من المجتمع الكبير، ولكنها تعيش على هامشه.

4 . الحي الذي يعيش فيه أشخاص غير متزوجين وفي غرف منفردة مؤجرة ، إن مثل هذا الحي يجذب خليطا سكانيا، يجمع بين أفراد غير متجانسين ومن أقليات متعددة بسبب انخفاض أجر السكن فيه.

5 . حي الأجانب، وهو الحي الذي تتخذه أقلية معينة موطنا دائما لها. و رغم ما يعرف عن تجانس هؤلاء الأفراد الذين يمثلون أقلية واحدة، ولكن هذه الأحياء تنحدر إلى عزلة اجتماعية كبيرة، تشيع فيها الرذيلة والجريمة والجنوح على نطاق واسع.

6 . حي الرذائل، وهو حي يعتمد في معاشه على مزاولة البغاء والمقامرة على نطاق كبير، وغالبا ما يجذب هذا الحي كبار رجال العصابات الإجرامية لغرض العيش فيه، وممارسة نشاطاتهم الإجرامية المختلفة.

7 . الحي الريفي، وهو جزء من ريف معين يلجأ إليه بعض المجرمين الهاربين من وجه العدالة طلبا للتستر والاختباء ليكونوا بعيدا عن أنظار القانون.

وقد وصف الأستاذ الأمريكي "هارفي زورباخ " (H.ZORBOUGH) الأحياء القذرة والفاسدة بأنها أزقة مظلمة، تشيع فيها الحرية التامة والفردية المطلقة، تتكون غالبية سكانها من مهاجرين منبوذين، يعملون في أعمال غير ماهرة تافهة، والحياة في هذه الأحياء صاخبة غير مستقرة، ويشيع فيها العداء والخوف والكراهية ، وهي في حالة هجرة دائمة. الضبط الاجتماعي معدوم. وتكون مثل هذه الأحياء موطنا صالحا للمجرمين، والمتشردين، والمتسولين، والمدمنين على الكحول، و العقاقير المخدرة . أفراد هذه الأحياء لا يملكون الكثير، ولا يهتمون لشيء ، حياتهم سلسلة من الفشل المتواصل، وهذا ما أضاع كبريائهم وأفقدهم الشعور بالمنزلة الاجتماعية في مجتمعهم. إنّ مثل هذه الأحياء تلد الجانحين والمجرمين باستمرار.

والحي الفاسد بوجه عام يمهد للطفل طريق الجنوح بمختلف الوسائل التي يمكن أن تقود الطفل إلى السلوك الجانح كأن يسهل له الانغماس في وسائل اللهو التجارية الرخيصة إذا كانت تكثر فيه الحانات والمراقص وبيوت الدعارة التي تقود الطفل إلى ممارسة المقامرة والبغاء وتعاطي المسكرات والعقاقير المخدرة، و غيرها من الوسائل التي تكون سهلة وقريبة إليه في بعض هذه الأحياء الفاسدة.

إنّ الرذائل الاجتماعية التي تنتشر بحرية في بعض الأحياء الفاسدة كثيرا ما لا يجد الطفل ما يعصمه عن ممارستها، بل لا يجد من يلومه من جرّاء ممارسته لها لأنها عادات شائعة ومألوفة يقوم بها الناس دون خوف أو حياء لأنها أصبحت جزء من الثقافة التي تميز الحي ذاته.

كما أن الطابع الذي يتخذه الحي يكون له آثار أخلاقية بعيدة المدى، على نظرة الفرد للحياة من جهة، و على أسلوبه في الاتصال والتآلف مع الآخرين من جهة أخرى، فإذا كانت الثقة والأمانة هي التي تسيطر على أساليب التعامل، أو إذا كان الغش والخداع هي الصورة الغالبة على طريق العمل شاهد الحدث في تردده اليومي داخل إطار الحي أنماطا من السلوكات والتصرفات التي قد تؤثر كثيرا- على المدى الطويل- في قيمه ومعاييره وأنماط سلوكه.

ومن جهة أخرى فإنّ افتقار الحي إلى المتنفسات الطبيعية كالحدائق والمنتزهات والأندية والساحات قد يؤدي إلى تجمع الأحداث في الطرقات ، وكثيرا ما يترتب على ذلك إخلال بالتنظيمات المحلية الخاصة بالمرور أو إقلاق راحة السكان.

كما أن الأحياء المتخلفة التي تضم مجموعات بشرية تعيش في ظروف إسكانية في مستوى لا يتفق مع الحياة الآدمية تؤثر تأثيرا مباشرا في معايير الحدث وقيمه وأنماط

سلوكه. ففي إطار هذا النوع من الأحياء السكنية تتجمع فئات من معتادي الإجرام الذين يسلكون سلوكا منحرفا، والذي يعتبرون قدوة سيئة للأطفال الذين يمتثلون أساليب واقعية من السلوك غير السوي في محيط الحي الذي يسكنون فيه .

الأحياء السكنية ومناطق الجناح.

لقد عالج الكثير من علماء الجريمة قديما وحديثا موضوع الحي وأبرزوا علاقته تكوين الجريمة والجنوح، والملاحظ أن جميع المهتمين بمشاكل الجنوح والانحراف وقفوا في دراساتهم إلى حد القول بأن معدل الانحراف يرتفع في البيئات المتواضعة عنه في البيئات الأكثر تقدما، وعند حد البحث في عناصر البيئة الخارجية التي تؤثر في السلوك الجانح مثل السكنات الفقيرة، والمنازل المكتظة، والمستويات المتواضعة للمعيشة، وغير ذلك من المواصفات التي تتصف بها بعض الأحياء التي تعد أوكارا للانـحراف، وهي ما يطلق عليها "مواطن الانحراف"، أو "مناطق الانحراف" التي أفرغ الكثير من الباحثين فيها فرضياتهم القائمة حول تكوين ونمو الجنوح في مناطق معينة دون غيرها معتمدين في ذلك الطريقة الايكولوجية في تفسير ظاهرة جنوح الأحداث.

ويعود الفضل في ظهور الطريقة الايكولوجية في الدراسات الاجتماعية إلى مدرسة شيكاغو الايكولوجية التي بدأت دراساتها الايكولوجية الأولى تحت إشراف العالمين الأمريكيين "روبرت بارك"R.Park و"ارنست برجس" E.Brurgess في دائرة علم الاجتماع بجامعة شيكاغو.

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات الايكولوجية لم تتعد في نطاقها غير إيكولوجية المجتمع المحلي بالذات، فقد كانت فاتحة لدراسات مختلفة كدراسات: "ماكنزي" MC.Kenzie، ودراسة"أندرسون"Anderson ، ودراسة "لويس ويرث".L Wirth ، ودراسة " هارفي زروباخ" H.Zorbough ،وغيرهم ممن اهتموا بدراسة ثقافة المدينة وعلاقتها بالإجرام.

إنّ جميع هذه الدراسات كانت دراسات إيكولوجية اجتماعية للجريمة استخدمت الخرائط الجغرافية والإحصائيات الجنائية في تحليل التوزيع المحلي للجريمة والمجرمين. وقد أوضحت هذه الدراسات الاختلافات القائمة بين معدلات الجريمة وتفاوت نسبتها وفقا لاختلاف المناطق الجغرافية، ومدى ارتباط الجريمة ببعض الظروف الاجتماعية والاقتصادية ككثافة السكان وسعة المدينة، وظاهرة الفقر، ونسبة التعليم.....الخ.

ومن أهم الدراسات الأمريكية المعاصرة لمدرسة شيكاغو دراسة " فريدريك تراشر" F.Trasher التي بحث فيها حالة عصابات الأطفال بمدينة شيكاغو عام 1926، حيث قام بدراسة إيكولوجية اجتماعية للمناطق السكنية التي يعيش فيها ما لا يقل عن (1313 عصبة) من عصابات الأطفال، وهذه تضم ما يقرب من الخمسة والعشرين ألفا (25000) من الأطفال والشبان الجانحين الذين يعيشون في بعض أحياء مدينة شيكاغو، وقد وصف "تراشر" السمات الطبيعية والاجتماعية التي تتميز بها مناطق هذه العصابات، وأطلق عليها مناطق حضانة الجنوح.

وقد تجلت أفكار مدرسة شيكاغو عن الثقافة الحضرية واضحة في مقال نشر عام (1938) من قبل " لويس ويرث" L.Writh بعنوان الحضرية كطريقة في الحياة (Urbanism As way of Life)، وتتلخص نظريته في أن حجم السكان وكثافتهم، ودرجة اللاتجانس بينهم تجتمع لتشكل الثقافة الحضرية، فيؤدي إلى تفكك الروابط التقليدية في القرابة والمجتمع مما يؤدي إلى تمزق الروابط الاجتماعية فيصعب في المدينة إقامة الصداقة حيث يواجه سكان الحضر بصفة خاصة بالأدوار المؤقتة والجزئية إلى حد كبير، مما يؤدي إلى السطحية والإهمال. وتكون النتيجة لهذا الوضع ضعف التكامل الاجتماعي الذي ينعكس في صورة العزلة، والانسحاب، والإحباط، والأعراض السلبية، والسلوك المضاد للمجتمع.

كما تعتبر دراسات "كليفارد شو"C.Shaw من أبرز الدراسات الايكولوجية الأمريكية على العموم، وأهم ما تناوله "شـــو" في هذه الدراسات هو موضوع الحي،ومدى اختلاف نسبة الجريمة بين حي وآخر، وذلك بمقارنة هذه الأحياء ببقية أجزاء مدينة شيكاغو.

ولاختبار فرضياته حول مناطق الجناح التي وصفها "شـــو" بأنها عبارة عن أحياء سكنية تتميز بسمات اقتصادية، وسكانية، واجتماعية معينة تنتج المجرمين والجانحين قام بتقسيم مدينة شيكاغو إلى مربعات ثم تسجيل نسبة الأحداث المنحرفين في كل واحد من هذه المربعات لبيان مكان إقامة الأطفال الجانحين، وقد كشفت الدراسة على تركز الانحراف في المناطق التي تتجمع حول المنطقة التجارية المركزية، حيث تبين أنّ (25٪) من أطفال هذه المناطق سبق وأن سجلوا في سجلات الشرطة كمنحرفين، في حين لا تزيد النسبة المماثلة في المنطقة الأخرى عن (1٪) فقط. وأنّ أعلى نسبة للجنوح تقع في تلك المناطق التي تحيط بالمراكز الصناعية لمدينة شيكاغو كمنطقة المعامل، والمراكز التجارية والبنوك، ومستودعات تخزين البضائع، وكلما ابتعدنا عن محيط المدينة وجدنا مجموعة

من الأحياء تسكن فيها الطبقات المتوسطة، ولّما نبتعد أكثر نجد أحياء أخرى تسكن فيها الطبقات الميسورة من المجتمع.

ويرى " شــو Show" أن مناطق الجناح بتركيبها المادي والثقافي الخاص والمتميز بالمستوى المعشي المتخلف، وبالصراع الثقافي تظهر لنا أعلى نسبة لجنوح الأحداث من جهة، وأعلى نسبة للعود إلى الجريمة من جهة أخرى.

كما كشفت الدراسة أيضا أنه في ظل الظروف القائمة داخل المناطق المتخلفة التي تنتج الجانحين والمجرمين يصعب سيطرة المجتمع على أعضائه نتيجة لما يعانيه من تفكك إلى درجة عدم التزام هؤلاء الأعضاء بالامتثال لمعايير الثقافة السائدة، الأمر الذي يفسح المجال الواسع للانحراف والجنوح.

كذلك أوضحت هذه الدراسة، أنه في مثل هذه الظروف تشيع نماذج السلوك الإجرامي بحيث يتناقلها الأبناء عن الآباء، لدرجة أنها تصبح هي النماذج الثقافية الشائعة والسائدة داخل تلك المناطق التي تتسم بمعدل انحراف مرتفع، فمن الطبيعي أن يمتص الأبناء القيم والنماذج السلوكية المنحرفة لآبائهم، وأن ينظروا إليها على أنها القيم والنماذج السلوكية العادية أو الطبيعية، فأظهر في إحدى دراساته التي تناولت خمسة إخوة أشقاء عرفوا بتاريخهم الإجرامي الطويل كيف يلعب الحي دورا كبيرا في تكوين الجنوح والجريمة، لقد وصف " شــو " الحي الذي انحدر منه هؤلاء الإخوة بأنه كان منطقة جناح تميزت بكل أسباب عدم التنظيم الاجتماعي، وأنه كان بيئة فاسدة شجعت هؤلاء الإخوة على ارتكاب الجريمة، بل أن تلك البيئة كانت تحترم المجرم، وتضفي عليه طابع الرجولة والبطولة في أحيان كثيرة.

لقد تعرضت دراسات "شــو" وفرضياته الايكولوجية إلى عدة انتقادات، إلا أنه يمكننا القول أنّ هذه الدراسات أثبتت أهميتها النظرية في حقل البحث العلمي في علم الإجرام، كما أثبتت فائدتها العلمية في ميدان الوقاية والعلاج.

وقد أعقبت دراسات "شــو" سلسلة من الدراسات الايكولوجية المختلفة التي تناولت جنوح الأحداث في عدد من المدن الأمريكية الكبرى كمدينة ديترويت، بلتيمور، أنديانا بوليس، وغيرها من المدن الكبرى.

وفي هذا الصدد يمكننا ذكر أنّ هناك دراسات ايكولوجية مماثلة لدراسات مدرسة شيكاغو قامت في بريطانيا لدراسة جنوح الأحداث في كل من مدينتي لندن وليفربول، إلا أن مثل هذه الدراسات البريطانية لم تتبع تقاليد مدرسة شيكاغو الأمريكية بالذات،

ولأجل ذلك لم يعدها البعض من الدراسات الايكولوجية في معناها الصحيح، وإنّما اعتبروها دراسة مناطق حيث اقتصرت على كشف أبعاد بعض المشكلات الاجتماعية القائمة في مدينة معينة أو منطقة معينة.

من كل ما سبق ذكره يمكن القول بصفة عامة أنه على الرغم من الانتقادات التي وجهت إلى النظرية الايكولوجية إلاّ أنها قدمت لنا –في الواقع– إسهامات هامة في فهم البناء الاجتماعي والايكولوجي للمدن الأمريكية الحديثة، وعمليات النمو والحركة التي تميز الحياة الحضرية عموما– وإلى حد ما الحياة الريفية– فضلا عن توضيحها للدور الذي تلعبه هذه الظواهر في فهم السلوك المنحرف.

أمّا في الدول العربية فقد قام بعض الباحثين بدراسات تناولت موضوع الحي وعلاقته بنمو وتطور معدلات الجريمة والجنوح نذكر من أهمها تلك الدراسات التي قامت في جمهورية مصر العربية حول مناطق الجنوح في مدينة القاهرة من طرف عدد من الباحثين المهتمين بايكولوجية الجنوح، والتي تمثلت في كل من دراسة "سيد عويس" المقارنة، ودراسة "حسن الساعاتي"، ودراسات أخرى قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

إنّ الدراسة المقارنة التي قام بها "سيد عويس" كانت تهدف إلى تطبيق مفهوم موطن الجناح كما حدده وعرضه "شـــو" بالنسبة للمجتمع الأمريكي، وذلك من خلال مقارنة بين حي روكسبيري بمدينة بوسطن بولاية ماساتشوست، وبين حي بولاق بمدينة القاهرة. ويذهب الفرض الأساسي لتلك الدراسة إلى أنّ الحياة الحضرية في مصر مصحوبة بظهور أحياء مماثلة لنموذج موطن الجناح الذي طرحه "كليفورد شو"، وذلك على الرغم من اختلاف البناء الاجتماعي في المجتمعين.

وقد ركزت الدراسة على العوامل التي تجعل من المنطقتين مناطق جناح الأحداث كقرب المنطقتين من المراكز الصناعية والتجارية في مدينتي بوسطن والقاهرة، والحالة السيئة لمعظم مباني المنطقتين والحالة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقتين اللتين تضمان أعدادا كبيرة من العمال غير المهرة، كما اختيرت هاتين المنطقتين لتميزهما بوجود نسبة عالية من جناح الأحداث فيهما.

واستنتجت الدراسة أنّ كلا من "حي بولاق" و "حي روكسبيري" يتشابهان من حيث ارتفاع نسبة جناح الأحداث فيهما، ولكنهما يختلفان في أنّ أغلبية حالات الأحداث الجانحين، في "حي بولاق" هي حالات ارتكاب جرائم اعتداء على الأشخاص، أما أغلبية حالات الأحداث الجانحين في "حي روكسبيري" فهي حالات الاعتداء على الأموال والممتلكات. وقد وجد أيضا أنّ الجرائم الجنسية والسكر وجرائم سرقة السيارات لا يعرفها الأحداث الذين يعيشون في "حي بولاق" بينما نجد أن جمع أعقاب السجائر عملية

لا يعرفها الأحداث الذين يعيشون في "حي روكسبيري".

وبصفة عامة استنتجت الدراسة أنّ هناك أحياء يرتفع فيها معدل الجناح، ويظل هذا الارتفاع لفترة طويلة، فحي بولاق يوجد به أعلى معدل للجناح في مدينة القاهرة ، أما حي روكسبيري فيوجد به أعلى معدل للجناح في مدينة بوسطن، كما استنتجت الدراسة أيضا أنّ ارتفاع معدل الجناح في هذه المناطق لا يرتبط بالخصائص العمرانية بقدر ما يرتبط بطريقة الحياة الاجتماعية وطابعها في هذه المناطق، ومن هنا تبدو هذه الأحياء المتفاوتة في معدلات الجناح بالمدينة كقطاعات في البناء الاجتماعي بهذه المدينة، ولكل منها ما يميزها من تنظيم اجتماعي وثقافة.

ومن الدراسات ذات العلاقة بموضوع دور الحي في جنوح الأحداث في جمهورية مصر العربية نجد أيضا دراسة "حسن الساعاتي" التي أوردها في كـتابه" في علم الاجتماع الجنائي" حيث استنتج من بحثه حول مناطق جناح الأحداث في مدينة القاهرة أنّ غالبية الأحداث الجانحين قد أتوا من الأحياء الشعبية الفقيرة في المدنية، والتي تعد مراكز لتفريخ الجانحين.

كما أوضحت نتائج الدراسات التي قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بجمهورية مصر العربية حول (السرقة عند الأحداث) اتضح من وصف الأحياء التي يسكن فيها أسر المتهمين بالسرقة أنّ (٪64) من الشوارع مهملة، وأنّ نسبة عدد الأحياء التي تنتشر فيها المقاهي والبارات أو محلات بيع شراب (البوظة) والملاهي نحو (٪74.2)، بينما لا تزيد نسبة الأحياء التي يوجد بها حدائق عن (٪12.4)، كما اتضح أنّ (٪65.5) من هذه الأحياء قريبة من المواصلات، وأن (٪28.9) من هذه الأحياء قريبة من النيل، كما اتضح أنّ (٪47.2) من هذه الأحياء تبعد عن وسط المدينة كمنطقة جاذبة للانحراف.

الخاتمة :

من كل ما سبق ذكره حول مناطق الجناح، ونظرية البقع الإجرامية التي قال بها "كليفورد شو" وزملائه، بالإضافة إلى نتائج مختلف البحوث والدراسات التي تطرقت إلى علاقة مناطق الجناح بتكوين السلوك الإجرامي في بعض الدول العربية والأوروبية نستنتج أن الحي الفاسد يلعب دورا مهما في تكوين السلوك المنحرف ، حيث غالبا ما يكون السلوك الجانح حصيلة البيئة التي تسهم في تطويره ، فهو كظاهرة الانتحار عند "دوركايم" و مفهوم البدائل لدى "مرتون" يمكن أن يكون نتيجة المعاناة و الفقر الاجتماعي الذي يأخذ شكل سوء تكيف لشروط بيئة سيئة ، و لعل هذا ما يؤكده الدور

الكبير الذي تقوم به بعض الأحياء الفاسدة التي تعاني من اختلالات كثيرة في خلق السلوك الجانح الذي ينمو و يتطور نتيجة فشل الأسرة في ضبط سلوك أبناءها من جهة ، و فشل المجتمع المحلي في تهيئة بعض الوسائل و الظروف الملائمة لحاجيات الطفل في محيط الحي الذي يسكن فيه .

قائمة المراجع :

- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، المجلد الرابع عشر، د.ت.
- طلعت عيسى و آخرون، الرعاية الاجتماعية الأحداث المنحرفين، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، د . ت.
- Aldo rossi, l'architecture de la ville, Paris, Ed, L Equére, 1978.
- Nadia Djelal, Le quartie –sa signification et sa réalité dans la totalité de la structure urbaine, in cahiers de L EPAU , N 1 , Alger 1992.
- حسين عبد الحميد رشوان، مشكلات المدينة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2005.
- Jaque Brun et autres , La ségrégation dans la ville , Paris , édition7
- L Harmattan, 1994,
- الدوري عدنان، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، الكويت ، جامعة الكويت ط 1 ، 1973.
-
- Alain coulan, L'école de Chicago, Paris, coll : que sais- je ? Ed .P.UF EME Edition , 1994
- مصلح الصالح، النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الإجرام في البلدان النامية، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 2000 .
- فرانك ب. وليامس وآخرون، السلوك الإجرامي: النظريات، ترجمة عدلي السمرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د . ت.
- عدلي السمري، السلوك الانحرافي: دراسة في الثقافة الخاصة الجانحة ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992.
- حسن الساعاتي، في علم الاجتماع الجنائي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1951.
- محمد عارف، الجريمة في المجتمع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط 1، 1975